

حاضرة أبها كما رأيتها وعرفتها :
 صور من التاريخ الحضاري
 خلال الأربعين عاماً الماضية

(١٣٩٦ - ١٤٣٤ هـ / ١٩٧٦ - ٢٠١٣ م) (*)

أ. د. غيثان بن علي بن جريس

دراسة منشورة في كتاب : القول المكتوب في تاريخ الجنوب، لغيثان بن جريس (الطبعة الأولى) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣ م). (الجزء الخامس)، ص ص ٣٣٤ - ٣٦٣ . (الطبعة الثانية / ١٤٤٢ هـ / ٢٠٢٠ م)، ص ص ٣١٣ - ٣٣٩ .

رابعاً : القول الخامس : حاضرة أبها كما رأيتها وعرفتها (صور من التاريخ الحضاري خلال الأربعين عاماً الماضية) . بقلم : أ.د. غيثان بن علي بن جريس^(١)

١- مدخل :

مسقط الرأس في محافظة النماص ، وفي قرية آل مقبول ببلاد بني عمرو^(٢) ، وهذه الأوطان تتبع إدارياً لمدينة أبها^(٣) ، والمسافة بين الناحيتين حوالي (١٤٠ - ١٥٠ كم)^(٤) . كنا نسمع بحاضرة أبها ولم نرها قبل عام (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) ، وفي عام (١٣٩٦/١٩٧٦م) انتقلنا إلى هذه المدينة الجنوبية من أجل مواصلة دراستنا الجامعية في كلية التربية بفرع جامعة الملك سعود في الجنوب^(٥) . ومنذ ذلك الزمن ونحن نذهب ونعود إلى مدينة أبها الجميلة^(٦) ، بل

(١) للمزيد عن أبها وعن غيثان بن جريس ، انظر: ابن جريس ، أبها حاضرة عسير (دراسة وثائقية) (الرياض، مطابع الفرزدق ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م) ، ومحمد أحمد معبر . مؤرخ قامة والسراة : غيثان بن علي بن جريس (دراسة توثيقية) (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) ، ص٧ وما بعدها .

(٢) للمزيد عن نشأة ابن جريس ، انظر كتاب: محمد بن أحمد معبر ، مؤرخ قامة والسراة ، ص ١٤ وما بعدها .

(٣) لمزيد من التفاصيل عن مدينة أبها ، انظر : ابن جريس ، أبها حاضرة عسير ، ص ١٣ وما بعدها .

(٤) كانت الطريق بين أبها والنماص وعرة جداً حتى نهاية القرن (١٤هـ) وبداية القرن (١٥هـ) ، وتاريخ المواصلات في الجنوب تحتاج إلى دراسات علمية أكاديمية ، ونأمل من جامعات الجنوب أن تولي هذا الموضوع بعض الاهتمام والبحث العلمي .

(٥) للمزيد عن التعليم العالي في عسير انظر: ابن جريس . تاريخ التعليم العام العالي في منطقة عسير (١٣٩٦هـ - ١٤٢٣هـ / ١٩٧٦ - ٢٠٠٣م) (جدة : وكالة الرواد للطباعة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م) ص٢٩٣ وما بعدها .

(٦) عندما نقول كلمة (جميلة) نقصد بذلك جملة في هدونها ، وفي طبيعتها ، وفي مناخها ، وفي طيبة وحسن معشر أهلها . ولست أنا الوحيد الذي قال بهذا المصطلح وإنما كثير من الشعراء والكتاب والمؤلفين تعرضوا لجمال هذه الحاضرة .

استوطنها ولازلنا نحن وأبنائنا وقرابتنا نعيش فيها حتى تدوين هذه السطور^(١). وفي الصفحات التالية نذكر بعض الصور التاريخية الحضارية التي عرفناها وعاصرناها في مدينة أهما وما جاورها منذ عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) حتى هذا العام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) ، ونأمل أن نورد حقائق وصور حضارية تفتح المجال للباحثين والدارسين والمؤرخين الذين يتطلعون إلى إجراء بعض الدراسات الإنسانية أو الاجتماعية أو الحضارية عن حضرة أهما بشكل خاص وعن منطقة عسير بشكل عام^(٢).

٢- أهما الطبيعية والسكان:

عند وصولنا إلى أهما اتضح لنا أمور عديدة في طبيعة حضرة أهما وسكانها مثل: أ — الطبيعة الجغرافية في قلب المدينة وفي أجزاء الحضرة^(٣) كانت أجمل وأفضل مما جرى عليها في العقود المتأخرة . فالتحول آنذاك داخل المدينة أو الذهاب إلى أحيائها المتعددة أو إلى المتزهات والمناطق الغربية منها مثل: السود، أو أشعاف مدينة أهما أو مدينتي خميس مشيط وأحد ريفية ، أو نواحي القرعاء (الفرعاء حالياً) أو الحبله وغيرها فإنه يشاهد طبيعة جميلة لم تمتد إليها يد الإنسان بالتلف أو التدمير^(٤) ، ولم تتجه لها عجلة شق الطرق بعد ، وتجريف

(١) عندما بدأت أهما تتوسع في عمراتها وتنميتها وأصبحت معقل المؤسسات التعليمية الكبيرة مثل: الجامعة ، والمدارس والمعاهد العالية. صار أهالي منطقة عسير ومن جاورها يهاجرون إليها ويقطنون بها. ومن ثم فدراسة الهجرة إلى أهما خلال الأربعين عاماً الماضية موضوع جدير بالبحث والدراسة ويستحق إلى أن يكون عنوان لرسالة دكتوراه في قسمي التاريخ أو الاجتماع.

(٢) منطقة عسير لازالت تحتاج إلى دراسات أكاديمية في شتى الجوانب وبخاصة في مجالات الآثار ، واللهجات واللغات ، وتبدل الأعراف والتقاليد والعادات ، والتنمية وغيرها من الموضوعات والمجالات النظرية الإنسانية والعلمية المختلفة .

(٣) عندما نقول (حضرة أهما) نقصد بها مدينة أهما وما حولها من النواحي الممتدة إلى بلاد شعار والسودة شمالاً، وخميس مشيط وأحد ريفية شرقاً وفي الجنوب الشرقي ، وقرى الشرف والشعف جنوباً . أما الأجزاء السروية الأماوية فلم تتعرض لها في هذا البحث . وحاضرة أهما لازالت تحتاج إلى دراسات اجتماعية تاريخية وحضارية عديدة . ونأمل أن تقوم جامعة الملك خالد بتشجيع الباحثين في هذا الجانب.

(٤) للمزيد عن تاريخ وحضرة مدينة أهما الحضارية انظر: ابن جريس . أهما حضرة عسير (دراسة وثائقية) ، ص ١٦ وما بعدها .

الأرض وبناء المجمعات السياحية والسكنية ^(١) . وإنما كانت أراضي على طبيعتها التي خلقت عليها فترى الأشجار المتنوعة، والطيور والحشرات والزواحف وغيرها في كل جزء وصقع من أصقاع هذه الحاضرة ^(٢)

ب — أما تشجير شوارع أهما وإنشاء الحدائق الداخلية فكانت قليلة ومحدودة ، وإذا وجدت فهي قريبة من بعض المجمعات الحكومية أو منازل الأعيان والوجهاء داخل المدينة ، ثم سارت بلدية أهما وبلدية خميس مشيط منذ بداية هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠ — ٢١ م) في خطط تنمية فأنشأت الحدائق والمتنزهات في أجزاء عديدة من حاضرة أهما ، بل سعت إلى تشجير الطرقات الرئيسة التي تربط بين أطراف مدينتي أهما وخميس مشيط وما بينهما.

ج — أما سكان حاضرة أهما فهم أصلاً من أهل البلاد ، بل إنهم عشائر عربية من قبائل عسير الأربع (بنو مغيد ، وعلكم ، وبنو مالك ، وربيعه ورفيدة) ، وشهران، وقحطان^(٣)، بالإضافة إلى أفراد وأسر من عشائر عربية أخرى في منطقة عسير ومن خارجها كانوا قد وفدوا إلى حاضرة أهما واستوطنوا وعاشوا بها^(٤) . والتأمل اليوم في مجتمع حاضرة أهما يجده ازداد امتزاجاً بأفراد وأسر القبائل والعشائر العربية السعودية. والدارس لهذا الاندماج

(١) دخلت أهما منذ عام (١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م) مرحلة من التنمية والتطور العمراني والحضاري. وكان للأمير خالد الفيصل ، أمير منطقة عسير آنذاك دور رائد في تطوير أهما وتنميتها انظر: ابن جريس ، أهما حاضرة عسير ، ص ١٤ وما بعدها .

(٢) دراسة أشجار وحيوانات وزواحف حاضرة أهما مهمة وتأمل من أقسام الحيوان والنبات في جامعة الملك خالد أن تلتفت إلى مثل هذا المحور العلمي الهام فتدرسه دراسة علمية أكاديمية.

(٣) جميع هذه القبائل تعيش في حاضرة أهما منذ مئات بل آلاف السنين لأنها مواطنهم ومستقر حياتهم. وتاريخ قبائل حاضرة أهما جدير بالبحث والدراسة ويستحق إلى أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية .

(٤) في القرنين الماضيين قدم إلى حاضرة أهما أسر وأفراد كثيرون من قبائل رجال الحجر ، ومن قبائل بيشة والباحة، ومن أطراف عديدة في المملكة العربية السعودية ومن خارجها ولازال أولادهم وأسرهم وأحفادهم يعيشون بها إلى وقتنا الحاضر.

والاختلاط يجد أن الأمن الذي تعيشه البلاد ، والرخاء ورغد العيش يعد من الأسباب الرئيسة في هذا الانصهار الاجتماعي^(١) .

د — أما عناصر المجتمع الأبهوي الوافدين إليه مؤقتاً من خارج المملكة العربية السعودية وأحياناً من داخلها . فالدارس لمجتمع حاضرة أبها منذ خمسينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى وقتنا الحاضر يجد أن هناك موظفين للدولة قدموا للعمل في مدينة أبها وما حولها وبعضهم من داخل المملكة مثل: الحجاز، ونجد، والشمال، والمنطقة الشرقية. وآخرون جاؤوا من خارج البلاد السعودية مثل: اليمن، ومصر، وفلسطين ، وسوريا، والأردن ، وبلاد المغرب ، وأحياناً من السودان والصومال. بل هناك وافدون للعمل من بعض البلدان الأوربية أو الشرقية^(٢) . وجميع هؤلاء كانوا يعملون في مجالات حضارية أهلية وحكومية مختلفة^(٣) .

ومنذ ثمانينيات وتسعينيات القرن الهجري الماضي حتى اليوم ازداد النمو الاقتصادي في البلاد ، وتوفر المال في أيدي الناس ، ومن ثم تزايد نظام الاستقدام للموظفين والعمال من الخارج وفي جميع المهن والمجالات الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية والتنمية . والذهب الآيب في حاضرة أبها منذ بداية هذا القرن (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) حتى يومنا الحاضر يشاهد هذا التطور المطّرد في وفرة الأيدي العاملة غير السعودية ، فلا تخلو مؤسسة صناعية أو تجارية أو مجال من مجالات التنمية من وجود عناصر عربية وغير عربية من خارج البلاد السعودية . وفي تسعينيات القرن الهجري الماضي كان اليمنيون والمصريون وبعض الشاميين من أكثر

(١) كان التعايش في النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) أقل مما تعيشه البلاد في الثلاثة عقود الماضية المتأخرة. وربما عامل ضعف الأمن أحياناً ، أو صعوبة الطرقات والتضاريس ، أو قلة المال وذات اليد كان من أسباب ضعف الانصهار السكاني . واليوم نجد البلاد تعيش في أجمل حللها وأرغد أوقاتها ، فلهذا الحمد والمنة .

(٢) للمزيد من التفاصيل حول بعض العاملين في قطاعات الدولة منذ منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى الثمانينيات وربما التسعينيات من القرن نفسه . انظر: بعض مؤلفات ابن جريس . مثل: أبها حاضرة عسير ، وعسير في عصر الملك عبد العزيز ، وعبد الوهاب أبو ملححة في جنوبي البلاد السعودية (١٣٤٠هـ/ ١٣٧٤م) ، ودراسات في تاريخ وحضارة جنوبي البلاد السعودية ، الجزء الأول والثاني .

(٣) حبذا أن نرى أحد الباحثين الجادين فيدرس التطور الاجتماعي السكاني الذي مرت به حاضرة أبها منذ منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى يومنا الحاضر . ومن يتم بإنجاز هذا العمل فسوف يضيف إلى المكتبة العربية والإسلامية دراسة علمية أكاديمية جيدة .

العناصر الموجودة في حاضرة أبها. ومع نهاية القرن الهجري الماضي وبداية هذا القرن رأينا العناصر الأفغانية والباكستانية والفلبينية والبنجالية والهنود تتراد ، مع أن العناصر العربية الآنفه الذكر لازالت تتواجد جنباً إلى جنب مع هذه العناصر الأجنبية الإسلامية وغير الإسلامية والناظر في مجتمع حاضرة أبها اليوم يجد أن العاملين في كل المهن الاقتصادية وأحياناً الاجتماعية من الفئات الوافدة ، وإذا بحثنا عن العنصر السعودي فهو قليل جداً وأحياناً يكون مرقعه هامشي^(١). أما وظائف الدولة فيعمل بها المواطن السعودي ولا تخلو بعض القطاعات الرسمية من عناصر غير سعودية مثل: الجامعات والمؤسسات التعليمية العالية ، والمستشفيات وقطاعات الصحة ، وميادين الهندسة والعمارة والتخطيط.

٣- صور من الحياة الاجتماعية:

أ- البناء والعمارة:

عرف سكان حاضرة أبها العمارة الحجرية والطينية ، وأحياناً كانت العمارة الواحدة تجمع بين البناء بالمواد الحجرية والطينية معاً . وعند قدومنا إلى أبها عام (١٣٩٦هـ/١٩٦٧م) وجدنا الكثير من سكان هذه الحاضرة يعيشون في منازلهم الشعبية ، ولازلنا نشاهد بعضها اليوم مائل للبعث والمهجورة من السكان^(٢). كما شاهدنا آنذاك بعض السكان الذين كانوا يعيشون في صنادق مشيدة من الصفيح أو الزنك الحديدي ، وفي البوادي والأرياف هناك من

(١) السعوديون قد يتصفون أحياناً بالكسل فلا ينخرطون في الأعمال الاقتصادية ذات الأرباح الجيدة ، ربما لصعوبة العمل ، وربما لآزدرء بعض المهن . وفي السنوات الأخيرة بدأنا نجد بعض الشباب السعودي لا يمانع من العمل في كثير من المهن والأعمال الخدمائية ، ونأمل أن نرى جميع الشباب يعملون في جميع الأعمال والوظائف والقطاعات الاجتماعية والاقتصادية التنموية في أنحاء المملكة العربية السعودية .

(٢) المتجول الآن في داخل مدينة أبها والقرى المحيطة بها في السودة وشعار وأجزاء من بلاد قحطان وشهران يلحظ الكثير من المنازل والقرى القديمة المهجورة . ونأمل من الهيئة العامة للسياحة وجامعة الملك خالد ومؤسسات التربية والتعليم أن تقوم ببعض الجهود لحماية هذه الأبنية العمرانية من الخراب والاندثار .

يعيش في عشش من الأخشاب والقش وأحياناً من الخيام المصنوعة من الشعر^(١). وعند دخولنا إلى بعض منازل الأماويون في تسعينيات القرن الهجري الماضي، وجدنا بعضها مزين بنقوش من عمل أهل البلاد، وغالباً كان النساء هن اللاتي يقمن بعمل تلك الزخارف والرسومات^(٢). كما أن الأثاث كان متواضعاً في معظم بيوت العامة، ولا تخلو بيوت الأمراء والشيوخ والوجهاء والأعيان من الأثاث الجيد وأحياناً الثمين في مادته وقيمه الشرائية^(٣).

أما الأنماط العمرانية الأخرى مثل: الحصون والقصور، والطرقات، والآبار، والمقابر، والأسواق، والمدرجات الزراعية وغيرها فكانت في تسعينيات القرن الهجري الماضي بدائية ومعظم مواد بنائها من الحجارة أو الطين أو بهما معاً، وأحياناً كانت من الزنك والأخشاب. ومنذ الثمانينيات في ذلك القرن بدأت مادة الأسمنت والطوب والبلك تظهر وتستخدم من قبل الموسرين وأصحاب المال، كما بدأت الدولة تشيد بعض مؤسساتها الإدارية من تلك المواد، وعند دخول التسعينيات ثم بداية هذا القرن الهجري (١٥/هـ/٢٠م) بدأت مواد البناء القديمة تتلاشى حتى اختفت وحل محلها مادة الأسمنت والحديد وأنواع عديدة من البلك والطوب والبلاط وغيرها.

وفي عام (٩٦- ١٣٩٧هـ/٧٦- ١٩٧٧م) شاهدت بعض العمارات والأبنية المشيدة بالأسمنت والبلك في حاضرة أهما، وكان لصندوق التنمية العقاري السعودي دور كبير

(١) هذه الأنواع من البيوت شاهدناها في بعض أرياف وبادي حاضرة أهما منذ عام (١٣٩٦- ١٤٠٢هـ/١٩٧٦- ١٩٨٢م). ونأمل أن نرى من طلابنا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد من يدرس تاريخ العمارة في مدينة أهما أو منطقة عسير منذ عام (١٣٢٠- ١٤٣٠هـ/ ١٩٣٠- ٢٠١٠م)، وهذا الموضوع جدير بالبحث والدراسة. بل يستحق أن يكون عنواناً لرسالة دكتوراه.

(٢) الفن الأماوي أو العسيري في النقش والرسومات المتزلية الداخلية جدير بالبحث والدراسة. ونأمل أن نرى من يقيم بدراسة هذا الموضوع الجدير بالاهتمام.

(٣) تاريخ العمارة الأماوية خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) جدير بالاهتمام والبحث والدراسة. ونأمل من جامعة الملك خالد أن تنشئ كلية للعمارة حتى تقوم بدراسة أنماط العمارة في جنوبي البلاد السعودية.

في الإسراع بانتشار الأبنية المسلحة في عموم حاضرة أبها^(١). والراصد للتطور العمراني في حاضرة أبها يجد أن أكبر عمارة في مدينة أبها خلال تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، كانت عمارة الراجحي الموجودة الآن في وسط مدينة أبها، وهي تتكون من عدة أدوار. وفي أنحاء مدينة أبها منازل يصل ارتفاعها إلى دورين وثلاثة وأحياناً أربعة وخمسة. ولكن هذا النوع من المنازل كان قليلاً ومحدوداً وغالبية المنازل من دور ودورين فقط. ثم تسارع العمران في جميع أرجاء الحاضرة الممتدة إلى خميس مشيط وأحد ريفية وإلى الواديين والقرعاء (الفرعاء حالياً) وإلى شعار والسودة. ومن أهم الأنماط العمرانية التي شاهدناها خلال الثلاثين عاماً الماضية هي:

١— اتساع مدن أبها وخميس مشيط وأحد ريفه، فكانت في القرن الهجري الماضي محدودة في شوارعها وعماراتها ومؤسساتها الحكومية والأهلية وأسواقها. واليوم أصبحت تضاهي المدن الكبرى في المملكة باتساع شوارعها، وارتفاع عمارتها وحرصها وأزقتها^(٢).

٢— ظهور بعض المعالم العمرانية الكبيرة مثل: مطار أبها الإقليمي الذي بدأ العمل في تشييده منذ تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)^(٣). وقبله مدينة الملك فيصل العسكرية والمطار العسكري بمدينة خميس مشيط^(٤). ناهيك عن بعض الأبنية الحكومية في مدن أبها وخميس مشيط وأحد ريفية مثل: بناء بعض المدارس والمعاهد التعليمية، وبعض المؤسسات الحكومية الأخرى، كالإمارات قديماً (المحافظات حالياً)، ودور الشرطة، والمحاكم وغيرها من

(١) نأمل أن نرى دراسات علمية إحصائية أكاديمية للعمارة في حاضرة أبها، والدور الذي لعبه صندوق التنمية في التطور العمراني في عموم منطقة عسير. وهذا الموضوع يستحق إلى أن يفرده له كتاب علمي أكاديمي موثق.

(٢) التاريخ الحضاري والعمراني لمدن أبها وخميس مشيط وأحد ريفية جدير بالبحث والدراسة. نأمل من طلابنا في أقسام الدراسات العليا بجامعة الملك خالد وبخاصة قسم التاريخ أن يولوا هذا الجانب اهتماماً كبيراً في بحوثهم ودراساتهم الأكاديمية.

(٣) كنت أشاهد مئات العمال الذين كانوا يعملون في رصف وبناء مطار أبها منذ عام (٩٧-١٤٠٠هـ/٧٧-١٩٨٠م). المصدر: مشاهدات الباحث في نهاية التسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م).

(٤) تاريخ العمارة في خميس مشيط منذ عام (١٣٥٠-١٤٣٠هـ/١٩٣٠-٢٠١٠م) جدير بالبحث والدراسة العلمية الموثقة.

الإدارات الرسمية والأهلية.

٣— كان لإنشاء فرعي جامعتي الملك سعود والإمام محمد بن سعود الإسلامية في الجنوب عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) دور في التوسع العمراني، وذلك لحاجة طلاب الجامعة والعاملين فيها إلى مساكن وخدمات ضرورية ، ناهيك عن عمارات لإدارة فرعي الجامعة وفصول دراسية وغيرها. وقد شاهدنا تشييد العديد من العمائر المستأجرة لهذا الغرض ، وتزايد الطلبة في فرعي الجامعة حتى أنشئت جامعة مستقلة عام (١٤١٩هـ/١٩٩٨م) ، وازدادت المنشآت العمرانية التابعة لهذه المؤسسة التعليمية حتى أصبحنا نشاهد عشرات العمائر الخاصة بالجامعة في حي القريقر من مدينة أبها وأجزاء أخرى من حاضرة المدينة والآن يتم تشييد مدينة جامعية مستقلة في ناحية الفرعاء (القرعاء قديماً) ، وربما تكون جاهزة لانتقال جميع فروع الجامعة إليها في سنوات قليلة قادمة^(١).

٤— أما الأبنية الدينية وبخاصة المساجد والجوامع في كل جزء من أجزاء حاضرة أبها، فقد انتشرت بشكل كبير ، ويظهر على هذا النوع من العمارة الجودة والإتقان ، ناهيك عن نوعية مواد البناء المستخدمة فهي من أفضل الأصناف وأحسنها . ودراسة تاريخ المساجد والجوامع في حاضرة أبها، أو منطقة عسير ، أو مناطق الجنوب منذ بداية النصف الثاني من القرن (١٤١٤هـ/٢٠٠٢م) إلى وقتنا الحالي موضوع كبير وهام وجدير بالبحث والدراسة والتحليل .

٥— أما الأسواق والمعارض التجارية فكانت في السابق محدودة ، ومنذ (١٠—٢٠ سنة) الأخيرة تزايدت الأسواق في حاضرة أبها حتى صارت تشتمل على أسواق عالمية كبيرة تضاهي نظائرها في مدينة الرياض والدمام وحده. ومن هذه الأسواق الحديثة : عسير مول ، وأبها مول ، وهايبر بنده، والغنيم ، والشامل، وأسواق جمعية الملك فيصل الخيرية في كل من أبها وحميس مشيط ، وعشرات الأسواق والمتاجر المتناثرة في أجزاء الحاضرة . وهناك العديد من معارض السيارات، وأدوات البناء ، والمكاتب، وغيرها من المعالم التجارية المتنوعة في سلعتها وأهدافها

(١) تاريخ التعليم العالي جدير بالبحث والدراسة . نأمل أن نرى رسالة علمية أو كتاب علمي يدرس حقبة التعليم الجامعي منذ (١٣٩٦—١٤٣٠هـ/١٩٧٦—٢٠١٠م) .

الاقتصادية^(١).

٦- شبكة الطرق التي تربط أجزاء حاضرة أبها مع بعضها البعض، والتي تربط الحاضرة نفسها مع أجزاء عديدة في منطقة عسير أو مع مناطق أخرى في المملكة العربية السعودية . فقد تطورت بشكل هائل . وإذا رجعنا إلى طرق هذه الحاضرة في أواخر القرن الهجري الماضي وأوائل هذا القرن وجدناها كانت ضيقة ومحدودة وأغلبها ترابية . واليوم نشاهد شبكة طرق كبيرة ومسفلتة مرصوفة الأطراف وعليها جميع الخدمات التي يحتاج المسافر أو المتنقل من مكان إلى آخر. ناهيك عن تشجير الطرقات الرئيسة وأحياناً الفرعية في عموم منطقة أبها ، وتزويدها بالإضاءة المرتبة والجيدة^(٢).

٧- هناك أنواع أخرى من العمارة في حاضرة أبها ، مثل: الشقق المفروشة ، والفنادق ، والمنتجعات والرحلات السكنية السياحية ، والمطاعم والصالات والاستراحات ، والمزارع ، والمخططات وغيرها من الأنماط العمرانية التي تحتاج إلى مئات الصفحات للحديث عن طريقة بنائها وأماكنها والأهداف من تشييدها . كل هذه العمارات تراها متناثرة في كل زاوية من منطقة أبها ونستطيع القول أن موضوع العمارة في حاضرة أبها يحتاج إلى مجلدات عديدة^(٣).

ب - اللباس والزينة :

كان لباس الناس بجميع فئاتهم وأجناسهم في حاضرة أبها خلال العقود الماضية المتأخرة بسيطاً. وكان أصحاب المال والجاه والثراء أحسن حالاً من غيرهم. وعند وصولنا إلى أبها عام (١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م) شاهدنا معظم الألبسة الرئيسة مثل الثياب والغتر ، والعقال ، والبشوت ، والأكوات المختلفة في أحجامها وألوانها ، وألبسة القدم من حزم وأحذية أخرى متنوعة . وكانت ألبسة النساء أيضاً متنوعة من الأحذية والعباءات والأقنعة

(١) تاريخ التجارة في حاضرة أبها منذ خمسينيات القرن (١٤١٤هـ / ٢٠٠٠م) موضوع هام وجدير بالدراسة، ويستحق إلى أن يخرج عنه عشرات الدراسات لأهميته ولثراء المادة التي تصب في خدمته.

(٢) تاريخ الطرق والمواصلات في عموم منطقة عسير خلال الثمانية عقود الماضية جدير بالبحث والدراسة . ونأمل أن يكون موضوعاً لرسالة ماجستير يقسم التاريخ في جامعة الملك خالد.

(٣) نأمل أن نرى أحد طلاب الدراسات العليا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد فيكون موضوع رسالته عن تاريخ العمارة في أبها أو عسير خلال العقود الماضية المتأخرة .

والفساتين والثوب المعروف آنذاك بـ (الكرتة) وغيرها . وفي تسعينيات القرن الماضي زرنا أسواق أبها وخميس مشيط فكانت متواضعة في مساحاتها ومحتوياتها ، إلا أنها تشتمل على أنواع عديدة من الألبسة الرجالية والنسائية وملابس الأطفال المتنوعة في أحجامها وألوانها ومواد صنعها. ومع بداية هذا القرن حتى وقتنا الحالي فاض الخير على البلاد وانفتح المجتمع الأبهائي على العالم واتسعت الأسواق وكثرت معروضاتها في اللباس والزينة ، وأصبحنا غير قادرين على الإمام بكل ما تغص به الأسواق من ألبسة. وإذا حاولنا رصد كل ما تحويه الأسواق وما يلبس الناس فقد نحتاج إلى مئات الصفحات لوصف كل الألبسة والزينة المستخدمة اليوم. وحتى لا ندخل في تفاصيل دقيقة في هذا الباب إلا أن هناك بعض الأقوال والرؤى التاريخية التي خرجنا بها من مشاهدة التطور التاريخي الذي مر على ألبسة الناس وزينتهم خلال الأربعين عاماً الماضية . ومن هذه الآراء ما يلي:

١- كان الناس في الماضي يرتدون ملابس رخيصة الأسعار متواضعة في الشكل، لكنها كانت أكثر حشمة ووقاراً لمن يلبسها وبخاصة النساء والشباب . أما اليوم بعد أن ازداد الخير والمال في أيدي أفراد المجتمع أصبحنا نرى ونسمع ألبسة غير ساترة للحسد عند الشباب . أما مجتمعات النساء وبخاصة في الاحتفالات والمناسبات الاجتماعية فقد سمعنا عن ألبسة فيها الابتذال وهذا مما لم نسمع به عند أمهاتنا وجداتنا قبل ثلاثين أو أربعين عاماً^(١).

٢- من يزر بعض المتاحف التاريخية في منطقة عسير ، أو يتذكر ما شاهده من ألبسة وزينة في تسعينيات القرن الهجري الماضي. ومن يطالع ألبسة الناس اليوم في حياتهم العامة والخاصة ، أو من يزر أسواق الألبسة في حاضرة أبها فإنه سوف يجد البون شاسعاً جداً بين الماضي والحاضر. بل يجد تنوع الألبسة ووفرها اليوم مقارنة بحياة الأجيال السابقة ، ومن يتعمق في إجراء دراسات مقارنة فسيجد ميداناً خصباً لإخراج دراسة علمية موثقة . ونأمل أن نرى بعض الدارسين والمؤرخين والمهتمين بالتطور الحضاري في المملكة العربية السعودية فيدرسوا موضوع اللباس والزينة في جنوبي البلاد السعودية منذ خمسينيات القرن الهجري الماضي حتى وقتنا الحاضر.

(١) ما جرى من تغيرات في عادات اللباس والزينة خلال العقود الأربعة الماضية جديرة بالدراسة والمقارنة من حيث نوعية اللباس وطريقته ومواده وما جرى عليه من تبدلات مع معرفة أسباب هذا التغير سلباً وإيجاباً .

٣— أما أدوات الزينة في الماضي فكانت محصورة على الحناء لبعض الرجال والنساء وبخاصة — متوسطي أو كبار الأعمار منهم . كما أن لبس السلاح للرجال، وحلي النساء والكحل والريحان وبعض العطور المحدودة مستخدمة عند بعض الأفراد والأسر في حاضرة أبها خلال العقود المتأخرة من القرن (١٤هـ/٢٠م) . ومع بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) تعددت أنواع الزينة للرجال والنساء، والذاهب إلى محلات الزينة سوف يجد مئات وربما آلاف الأنواع المعروضة في الأسواق. وأدوات الزينة للنساء تفوق عشرات المرات المعروضات الرجالية. وليست أدوات الزينة اليوم محلية كما كانت في الماضي وإنما تستورد من جميع أسواق العالم لعرضها وبيعها في معظم الأسواق التجارية.

٤— من يدرس الآثار الإيجابية والسلبية للألبسة والزينة في حاضرة أبها اليوم، وكيف كانت في الماضي فإنه سوف يجد فارقاً كبيراً وتفاوتاً بين الماضي والحاضر، بل سيجد مادة ثرة تعكس الكثير من التفاصيل عن سلبيات وإيجابيات باب الزينة واللباس في منطقة أبها^(١).

ج . الطعام والشراب :

كان طعام وشراب سكان أبها بسيطاً ومحلياً خلال العقود الماضية من القرن الهجري الماضي، وإذا توغلنا في القرى والبوادي الأبهوية فإن جل أطعمتهم خبز البر والشعير والذرة ، وأشربتهم الألبان والقهوة والشاي . أما المدينة الحاضرة فوجدنا بها الأطعمة الشعبية التي توجد عند أهل القرى والأرياف، كما وجد عند أهلها بعض الأطعمة ذات المكونات المتعددة والمستوردة أحياناً من الحجاز وجازان واليمن وموانئ البحر الأحمر. وقد شاهدنا العديد من المطاعم في مدينتي أبها وحميس مشيط خلال تسعينيات القرن الهجري الماضي وكان العاملون بتلك المطاعم من الأجناس اليمنية والسودانية وأحياناً من المصريين^(٢).

(١) ليست الألبسة والزينة وما يتعلق بها من سلبيات وإيجابيات مقصورة على المجتمع الأبهوي ، لكنها ظاهرة عامة على المجتمع السعودي . ومن يجري دراسة تاريخية اجتماعية تحليلية للألبسة والزينة في مجتمع المملكة العربية السعودية فقد يخرج بعدة دراسات علمية أكاديمية جديرة بالاهتمام والقراءة والاطلاع .

(٢) تاريخ الطعام والشراب في حاضرة أبها أو منطقة عسير ، أو جنوبي البلاد السعودية (الباحة ، وعسير، وجازان ، والقفزة ، ونجران) خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) جدير

ومنذ بداية هذا القرن الهجري فاض الخير على الناس وبدأت أسواق الطعام والشراب تنتشر في كل مكان ، وزادت المطاعم والبوفيهات ، وتكاثرت الأيدي العاملة الوافدة والعاملة في صنع الأطعمة والأشربة وأصبحنا غير قادرين على إحصاء ما تغص به منازلنا وأسواقنا ومطاعمنا من أنواع الطعام. والمتحول في طول وعرض حاضرة أهما يجد مئات الأطعمة والأشربة وموادها الرئيسة متوفرة في كل مكان ، وأصبح الفقير والغني يستطيع الحصول على أنواع عديدة من الأشربة والأطعمة في اليوم والليلة. وقد شاهدنا في ميدان الطعام والشراب في حاضرة أهما خلال العقود الخمسة الماضية ما يلي:

- ١- وجود الكثير من المزارع والثروات الحيوانية في مدينة أهما وما جاورها خلال ثمانينيات وتسعينيات القرن الهجري الماضي ، ومن ثم كانت أطعمة وأشربة سكان أهما من تلك المزروعات ومما يوجد في المنطقة من حيوانات وطيور أليفة.
- ٢- كان جل العاملين في مهن الزراعة والرعي من أهل البلاد أنفسهم ، ونادراً أن نرى رعاة الماشية من الوافدين بعكس العقدين أو الثلاثة الماضية فقد انحصرت المزارع ، وتراجعت مهنة الرعي، وصار جميع أهل أهما وما جاورها يتجهون للتعليم والمهن الحكومية والتجارية^(١) ، وهذا مما أثر على الأطعمة الشعبية وصار يحل محلها أطعمة وأشربة مستوردة وكانت في الغالب من صنع وافدين قدموا للعمل في صنع الطعام والشراب في هذه الحاضرة الجنوبية العسيرة^(٢).

بالبحث والدراسة ونأمل أن نراه موضوعاً لرسالة دكتوراه في أحد أقسام التاريخ بجامعة المملكة العربية السعودية .

(١) دراسة التحول التاريخي في حاضرة أهما خلال الخمسين عاماً الماضية ، وبخاصة في المجالات الاجتماعية والاقتصادية جدير بالبحث والدراسة. وهذا الموضوع يستحق عشرات الكتب والدراسات ونأمل من طالبات وطلاب الدراسات العليا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد أن يلتفتوا إلى دراسة هذه الموضوعات الحضارية الهامة .

(٢) لم يكن هذا التحول يجري على حاضرة أهما فحسب بل إنها تغيرات اجتماعية حضارية جرت لعموم مدن وبلدان المملكة العربية السعودية . ودراسة التاريخ الحضاري لسكان المملكة

٣— فنون الأطعمة والأشربة ، والأيدي العاملة في هذا المجال ، والسلبيات والإيجابيات ، والأحور والأسعار وما عاشه المجتمع الأهواي خلال الأربعة عقود الماضية يحتاج منا معاصر المؤرخين الجنوبيين التأمل والتوقف والبحث والدراسة. وإن فعلنا ذلك فسوف نطلع على ما عاشه المجتمع العسيري بل الجنوبي بشكل عام. وإذا قارنا هذه العقود الأربعة بما سبقتها من عقود فسوف نجد التطور الذي جرى مؤخراً واضحاً ، بل إن نسبة المقارنة بين العصرين متباعدة جداً، فلم يكن عند الأوائل إلا أشربة وأطعمة محدودة بعكس الكم الهائل الذي نراه اليوم عند عامة الناس وخاصتهم^(١).

د - العادات والتقاليد والفنون والأعراف :

هذا العنوان موضوع كبير جداً ويستحق عشرات الكتب والرسائل والبحوث. ونأمل من جامعة الملك خالد أن تفتح مراكز علمية بحثية تدرس الجانب الحضاري لمنطقة عسير منذ العصر الجاهلي إلى وقتنا الحاضر . ويجب لمثل هذه الأقسام أن تشتمل على أقسام نظرية إنسانية عديدة مثل: الاجتماع، وعلم الأجناس، والبيئة والتنمية ، بالإضافة إلى أقسام التاريخ ، واللغة واللهجات، والفنون الشعبية (الفولكلور الشعبي) وغيره^(٢).

خلال الثمانين سنة الماضية يستحق مئات بل الآلاف من الدراسات وهذه مسؤوليات الجامعات والمؤسسات التعليمية في هذه البلاد العربية المباركة.

^(١) الدراسة المقارنة بين الماضي والحاضر جيدة وتستحق الاهتمام من المؤرخين والباحثين الجادين. ولمزيد من التفصيلات عن التاريخ الحضاري في منطقة عسير انظر: ابن جريس. عسير : دراسة تاريخية حضارية للحياة الاجتماعية والاقتصادية (١١٠٠ - ١٤٠٠هـ/ ١٦٨٨ - ١٩٨٠م) (جدة: دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م) ، ص ١٢ وما بعدها .

^(٢) الذهاب للجامعات العريقة في أوروبا وأمريكا وبعض بلدان الشرق الأقصى يجد ضمن هياكلها كليات وأقسام نظرية أدبية إنسانية ، بل يجدها مدعومة بأساتذة مشاهير ومكتبات علمية غنية بمصادرها ومراجعتها الأكاديمية، بل إن حكومات ومجتمعات تلك البلاد تدرك أهمية هذه الأقسام الأكاديمية فتدعمها مادياً ومعنوياً بعكس المجتمعات العربية التي لا تولي هذه الميادين العلمية أهمية، بل إنها أحياناً تحقر منها وترى أنها ذات فوائد محدودة وعقيمة .

وفي الصفحات التالية نذكر محاور رئيسة عرفناها وشاهدناها خلال الأربعين عاماً الماضية ،**وهي على النحو التالي:**

١- كانت عادات الزواج متواضعة في إجراءاتها والاستعداد لها خلال النصف الثاني من القرن الهجري الماضي. ومنذ بداية هذا القرن ارتفعت المهور ، وزادت التكاليف التي تصاحب احتفالات الزواج . ففي الماضي كانت مئات الريالات تصرف في جميع ما يتعلق بالزواج من مهر وولائم وألبسة وغير ذلك. أما العقدين الماضيين أصبحنا نسمع مئات الآلاف التي تنفق على العرس الواحد. والناس في حاضرة أبها يتفاوتون في إقامة أعراسهم فهناك مقتصدون ومعتدلون وهم قلة وربما كانوا من الفقراء أو الطبقة الوسطى ، أما الغالبية فهم اليوم يبالغون في الولائم والاستراحات والصلوات التي تقام فيها مناسبات الأعراس^(١).

٢- عادات الختان والمآتم مبالغ فيها خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) ومنذ بداية هذا القرن أصبح الأهوايون ومن جاورهم من منطقة عسير وجازان ونجران أكثر وعياً وفهماً ، فصاروا يقيمون عادات موتاهم بشكل محدود ومقنن ، أما عادة الختان فقد اختفت تماماً ، وصار المولود الذكر يختن في المستشفيات دون أن يجري له احتفالات (وبرتوكولات) كما كان الناس في السابق^(٢).

٣- التآزر والتعاون وإغاثة الملهوف عادات كانت سائدة بين الناس في حاضرة أبها وغيرها من مدن وقرى الجنوب السعودي. والحديث عن قصص وروايات تصب في خدمة هذا المحور كثيرة جداً خلال النصف الثاني من القرن الهجري الماضي ، وقد عشنا وشاهدنا الكثير من هذه الصور الاجتماعية . ومنذ نهاية التسعينيات في القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى عصرنا الحاضر نجد هذه الصور الحضارية قد تلاشت بل انعدم كثير منها. والباحث في الوثائق التاريخية قريبة العهد يجد صوراً عديدة تدور في فلك التكافل الاجتماعي الذي كان سائداً بين سكان المناطق

(١) تاريخ عادات الزواج في حاضرة أبها منذ عام (١٣٥٠-١٤٣٣هـ/١٩٣٠-٢٠١٢م) موضوع جدير بالبحث التاريخي الاجتماعي الأكاديمي الموثق الرصين . نأمل أن نرى من أكاديمي جامعة الملك خالد من يتولى هذا الموضوع بالبحث والدراسة العلمية .

(٢) المزيد من التفاصيل عن تاريخ عادات المآتم والختان في منطقة عسير خلال القرون الهجرية الماضية انظر: ابن جريس ، عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ) ، ص ٧٤ وما بعدها .

الجنوبية^(١). ولعل في وفرة المادة عند الناس وكثرة الأرزاق والتوسع في الدور والتنقل في أنحاء البلاد، مما أدى إلى تهقر تلك الصفات الحميدة التي كان يعيشها سكان عسير في القرن (١٤هـ/٢٠م) .

نعم إننا نشاهد اليوم تعدد جمعيات البر والخير التي تفقد أحوال الناس ، ونجد العديد من المؤسسات الحكومية والأهلية التي تعمل على مساعدة أفراد المجتمع. فندرس أحوالهم وتقف إلى جانبهم في كروبهم المادية والاجتماعية ، لكن نكهة هذه المؤسسات وتأثيرها أقل مما كان عليه وضع الناس في الماضي . ففي السابق كان جميع أفراد المجتمع متعاونون متكاتفون في جميع معاش حياتهم ، أما اليوم فلا نجد ولا نحس بذلك التآزر الذي كان في الماضي ، وإن بذلت الجمعيات العديد من الخدمات الخيرية والاجتماعية فلازالت نشاطاتها نوعية وغالباً محدودة مادياً ومعنوياً ونفسياً^(٢).

أما عادات السمر والفنون الشعبية في الماضي فكانت ذات أدواق أجمل وأفضل من حيث البساطة والتلاحم والتقارب . بل كان الأهوايون أكثر تآلفاً في الحي الواحد أو القرية أو الريف أو البادية فتراهم يقضون أول الليل في هدوء ومحبة، وتتخلل مجالسهم الطرائف والأحاديث الاجتماعية التي يغلب عليها المرح وطيب النفس . وكان لكل فئة عمرية من فئات المجتمع بعض الألعاب والأدبيات الترفيهية التي تعمر بها مجالسهم طلباً للأنس والمرح. يقومون فيها ببعض الألعاب الشعبية المتنوعة في حركاتها وإيقاعاتها وأهازيجها. وللرجال فنون خاصة بهم ، وكذلك النساء والأطفال فهم يمارسون ألعابهم ونشاطاتهم الاجتماعية في أحيائهم وقراهم^(٣).

(١) يوجد في مكتبة الباحث مئات الوثائق التي تحتوي على تفصيلات كثيرة عن التعاون والتآزر والتلاحم الذي كان بين الأهوايون بشكل خاص والعسيريون أو الجنوبيون السعوديون بشكل عام. وتاريخ التعاون والتكافل الاجتماعي في عسير أو جازان أو نجران أو الباحة جديرة بالبحث والدراسة الأكاديمية .

(٢) حبذا أن نرى أحد الباحثين الجادين فيقوم بدراسة مقارنة في ميادين التعاون والتكافل الاجتماعي في منطقة عسير، ويوضح لنا كيف كانت هذه النشاطات في القرن الماضي وفي العقود الثلاثة الماضية المتأخرة .

(٣) دراسة الألعاب والفنون الشعبية في حاضرة أبها موضوع تاريخي اجتماعي جدير بالبحث والدراسة . ودراسة مثل هذا العنوان في النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) يستحق البحث والدراسة . ونأمل أن نرى من طلابنا في الدراسات العليا من ينجز مثل هذا البحث الجدير بالدراسة والتحليل .

ومن بداية القرن (١٥هـ/٢٠م) بدأت الألعاب والفنون الشعبية تتراجع ، وتزايدت بعض النشاطات الاجتماعية الترفيهية مثل الأغاني الشعبية والإسلامية، وكذلك ضرب الطبول وإحضر أشرطة موسيقية تستخدم في مناسبات الأعراس وغيرها. ولم نعد نرى اليوم أداء الفنون الشعبية كما كانت في نهاية القرن المحجري الماضي والعقد الأول من القرن (١٥هـ/٢٠م)^(١). وربما انشغال الناس بأعمال اجتماعية واقتصادية عديدة جعلهم لا يلتفتون كثيراً إلى تلك الألعاب الشعبية القديمة. ثم ظهور العديد من المهرجانات والألعاب الترفيهية والأنشطة السياحية جعلت أجيال اليوم تنصرف عن الألعاب الشعبية القديمة وينخرطون في الفنون الترفيهية التي نشاهدها تمارس خلال المناشط السياحية الصيفية والشتوية^(٢).

والألعاب الرياضية مثل : كرة القدم واليد والطائرة والسلة ، وألعاب القوى، والجري والقفز والسباحة وغيرها كانت من الألعاب الشعبية التي مارسها الأوائل والمعاصرون في وقتنا الحالي. إلا أن قلة ذات اليد في نهايات القرن (١٤هـ/٢٠م) جعلت ممارستها محدودة وفي العقود الماضية المتأخرة أسست النوادي الرياضية الحكومية في أهما وخميس مشيط وأحد ريدة . كما أنشئت بعض المراكز والنوادي الرياضية الأهلية التجارية ، وأصبحت بيئات مناسبة للشباب كي يقضوا فيها بعض أوقاتهم .

كما أن مجتمع حاضرة أهما لم يخل من القصص والروايات الشعبية ، وكذلك الأحاجي والألغاز والأمثال الشعبية . والناس في أواخر القرن (١٤هـ/٢٠م) كانوا أسهل وأفضل في أريجيتهم واستمتاعهم بأوقاتهم وأقوالهم وأهازيجهم وأمثالهم الشعبية. وعند توسع أفراد المجتمع في أرزاقهم وأعمالهم أصبحوا أكثر ضيقاً وهموماً وأحزاناً ، بل صاروا أكثر تباعداً

(١) الفنون الشعبية المختلفة يصاحبها قصائد وأغان وأناشيد شعبية من تأليف أبناء المنطقة . وفي تلك الموروثات الشعبية الكثير من الأقوال السديدة والروايات الجميلة. وجمع تلك الأهازيج والقصائد مهم جداً وتستحق الدراسة والتحليل .

(٢) نلاحظ الإمارة في أهما والمحافظة في منطقة عسير تسخر المال والجهد للأنشطة الصيفية التي تنطلق في بداية كل صيف وتمارس في الأجزاء السروية من بلاد عسير . أما في فصل الشتاء فجميع الأنشطة السياحية والترفيهية تقام في الأجزاء النهامية العسيرية مثل: الحويضة والبرك على ساحل البحر الأحمر ، وفي محافظات رجال ألمع ومخائل وبارق والمجاردة .

وتفككاً أسرياً واجتماعياً عما كان عليه آباؤهم وأجدادهم^(١).

٤- صور من الحياة الاقتصادية :

كانت مهن الصيد والجمع والالتقاط والرعي متواجدة عند المجتمع الأماوي خلال النصف الثاني من القرن (٤هـ/٢٠م) ، ومع بداية القرن (١٥هـ/٢٠م) بدأت في الاختفاء حتى أنه لم يأت نهاية العقد الأول من هذا القرن الهجري إلا وقد اختفت تماماً وبخاصة مهنتي الصيد والجمع والالتقاط^(٢). أما مهنة الرعي فقد تضاءلت في داخل التجمعات البشرية الحضرية في مدن أبها وخميس مشيط وأحد ريفية . وبقيت هذه الحرف تمارس عند الريفيين في البوادي والقرى المحيطة بالمدن الآنفة الذكر . وإذا كان هناك من يمارس مهنة الرعي داخل هذه المدن فكان على نطاق ضيق وداخل المنازل والمزارع الخاصة.

والعاملون في مهن الرعي والصيد والجمع والالتقاط خلال العقود الأخيرة من القرن الهجري الماضي كانوا من أهل البلاد أنفسهم. وبعد أن تلاشت هذه الحرف في العقدين الأخيرين، ظهر هناك من يمتلك بعض المواشي مثل: الضأن والماعز ويحلب لها رعاة من بلدان عربية أخرى مثل: مصر ، واليمن ، والسودان وإريتريا، وكانت ممارسة هذه المهنة محدودة جداً^(٣).

أما مهنة الزراعة فكانت من الحرف الرئيسة عند سكان حاضرة أبها، والناظر في

(١) دراسة الترابط الأسري والاجتماعي في القرن الهجري الماضي وما يعيشه المجتمع الأماوي اليوم جدير بالبحث والدراسة والمقارنة . نأمل أن نرى أحد الباحثين الجادين يتولى هذا الموضوع بالبحث والدراسة .

(٢) ربما كانت تمارس هاتين المهنتين في البوادي والأرياف القريبة من مدينتي أبها وخميس مشيط . وقد ظهرت بعض المؤسسات الحكومية التي تحارب مهنة الصيد وجمع الأخشاب والحطب من الغابات والأودية والجبال المليئة بالأشجار والنباتات المختلفة .

(٣) من يذهب اليوم إلى أسواق المواشي في أبها وخميس مشيط يجدها تكتظ بأنواع عديدة من الماعز والأغنام والأبقار والجمال . وعند السؤال عن الأماكن الرئيسة لهذه البهائم ، نجد أنها تجلب من بوادي قبائل شهران ورجال الحجر وبيشة ومن بعض المناطق الساحلية الممتدة من مكة إلى جازان ، ومن حفر الباطن أو بعض مناطق الشمال أو نجد ، وقد تجلب بعض المواشي من خارج المملكة مثل: اليمن ، والصومال ، والسودان، والحبيشة وبلدان أخرى عديدة .

طبيعة الحاضرة الأهواوية الممتدة من السودة وشعار إلى الفرعاء (القرعاء سابقاً) والواديين وأحد رفيده ومدينة خميس مشيط وما يحيط بها من قرى وبلدات يجد الأراضي الزراعية منتشرة في كل مكان، وقد شاهدنا هذه البلاد في العقد التاسع من القرن الهجري الماضي فكانت مليئة بالزورع والثمار المختلفة، ثم امتد النمو العمراني في منطقة أبا وتحول كثير من تلك الأراضي الزراعية إلى أراض سكنية . والحقيقة أن جميع الأحياء والقرى والتجمعات السكنية التي نشاهدها في طول وعرض أبا قامت أساساً في مواقع زراعية. وهذا مما جعل مهنة الزراعة تضعف بل انعدمت في معظم أجزاء المنطقة^(١). والذاهب في أرجاء المنطقة اليوم يشاهد بعض الأراضي الزراعية المحدودة بين الأحياء والقرى ، والقائمون عليها من العمالة الوافدة من خارج البلاد مثل: المصريون واليمنيون وغيرهم.

وكانت الزراعة في السابق تمارس بالطرق التقليدية ، واستخدام الأبقار وأحياناً الحمير أو الجمال في حث الأرض ، كما أن رعي المزارع يتم عن طريق السواني من الآبار. وجميع أفراد الأسرة الواحدة ، رجالاً ونساءً يتعاونون في ممارسة حث الأرض وزراعتها وحصد محاصيلها . بل كان أصحاب الحي أو القرية الواحدة متعاونون في زراعة بلادهم واستثمار محاصيلها . ومنذ نهاية القرن الهجري الماضي حلت العديد من الآلات محل الحيوانات التي كانت تستخدم في حث وري المزارع . بل إن الدولة نفسها كانت تبذل قسارى جهدها في مساعدة المزارعين عن طريق إعطائهم قروضاً ميسرة ، وتزويدهم بالمكائن والحرثات الخاصة بزراعة الأرض وربها^(٢).

كان عند الأهواويين ومن حولهم اكتفاء ذاتي في زروعهم من حبوهم المختلفة ، وعندما بدأت مهنة الزراعة تتلاشى في مجتمعاتهم بدأوا يحصلون على أطعمتهم وفواكههم

(١) المصدر: مشاهدات الباحث للأنشطة الزراعية في عموم منطقة عسير منذ تسعينيات القرن الهجري الماضي حتى اليوم . ونأمل أن نرى أحد طلاب الدراسات العليا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد فيقوم بدراسة هذا المحور ويكون موضوعاً لأطروحة العلمية .

(٢) تاريخ الزراعة في عسير أو جازان ، أو نجران أو الباحة أو القنفذة . موضوعات جديدة ومهمة وجديرة بالبحث والدراسة والتحليل. ونأمل أن نرى بعض الأكاديميين في هذه المناطق فيولوا مثل هذه العناوين اهتماماً علمياً أكاديمياً .

وحضروا لهم من خارج منطقة أبها ، فتجلب من جازان أو بيشة أو بعض النواحي في منطقة عسير . وتطور الأمر حتى صاروا يجلبون أنواع عديدة من الحبوب والفواكه من داخل المملكة العربية السعودية ومن خارجها. والناظر في الأسواق اليومية والأسبوعية في أبها يجدها تكتظ بهذه الأرزاق والحبوب والثمار والأطعمة المجلوبة من مواطن عديدة في العالم العربي والإسلامي والغربي والشرقي^(١).

أما الحرف الصناعية والتقليدية في حاضرة أبها مثل: الدباغة والخرازة ، والحدادة والصياغة، والنجارة ، والنسيج والخياطة والصبغة، والجزارة ، والصناعات الحجرية والفخارية وغيرها من المهن فكانت متوفرة ، بل إن أسواق وأحياء مدينة أبها وحميس مشيط تغص بهذه الحرف . ومعظم المواد الأولية لهذه الصناعات تجلب محلياً من حاضرة أبها أو منطقة عسير، بل إن العاملين في هذه المهن من أهل البلاد أنفسهم^(٢) . ومع بداية القرن (١٥هـ/٢٠م) بدأت هذه الحرف تتقهقر وحل محلها مدن وورش صناعية تمارس تلك المهن التي كان يمارسها بعض أهل البلاد في النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) . وأصبحت معظم الأيدي العاملة في هذه الورشة الصناعية وافدة من بلدان عربية وأجنبية . والمشاهد لمدينتي أبها وحميس مشيط الصناعية وبعض الأسواق في المدينتين نفسها يجدها مليئة بالآلاف من العناصر الخارجية (عربية وغير عربية)، بل تراهم العمود الفقري لهذه الورش وللمهن المتنوعة التي تمارس فيها^(٣).

(١) تجارة الحبوب والأطعمة والأشربة في أبها أو عسير خلال الثمانين سنة الماضية موضوع يستحق إلى أن يفرد له بعض الدراسات العلمية التوثيقية الأكاديمية، أما باب الزراعة من حيث العوامل المساعدة ، والمعوقات ، والأساليب الزراعية ، والتحولات الحضارية في الميدان الزراعي فكل هذه الجوانب جديرة بالبحث والدراسة . ونأمل أن نرى هذه الموضوعات منشورة في كتاب أو رسالة علمية أكاديمية .

(٢) للمزيد عن الصناعات والحرف في محافظة خميس مشيط (١٣٨٧-١٣٩٧هـ/١٩٦٧-١٩٧٧م) . انظر ابن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير وجازان والقنفذة) (الرياض: مطابع الحميصي ، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) الجزء الرابع ، ص ١٦٥-١٩٠ .

(٣) تاريخ الصناعات التقليدية والحرف اليدوية في حاضرة أبها ، أو في عسير ، أو في أي جزء من أجزاء جنوبي البلاد السعودية خلال القرن الهجري الماضي وبداية هذا القرن موضوعات هامة وجديدة وجديرة بالبحث والدراسة . ونأمل من أقسام التاريخ والحضارة في جامعات الجنوب أن تولي مثل هذه العناوين اهتماماً كبيراً في برامجها وأطروحاتها العلمية لدرجتي الماجستير والدكتوراه .

أما التجارة فهي الميدان الأكثر نشاطاً في حاضرة أهما. والدارس للمهن الحضارية الأخرى مثل: الصيد ، والرعي ، والجمع والالتقاط ، والزراعة يجدها كانت نشطة قوية ثم سارت في الانحدار وأحياناً الاختفاء . مع أن التجارة كانت تسير في الاتجاه المعاكس فكانت في الماضي بسيطة متواضعة لمحدودية الأرض، وصعوبة المواصلات ، وقلة المال ، وعندما أنشئت المطارات وشقت الطرق المعبدة المسفلتة وتوفرت أدوات الاتصالات والمواصلات الحديثة قفزت التجارة قفزات كبيرة جداً^(١). وفي الصفحات التالية نذكر بعض الصور التجارية الحضارية التي عرفناها وشاهدناها في حاضرة أهما خلال العقود الأربعة الماضية المتأخرة ، وهي على النحو التالي:

أ - الطرق والأسواق:

شاهدنا في نهاية القرن الهجري الماضي شبكة طرق محدودة تربط مدينة أهما بأجزائها وحاضرتها^(٢). والأجزاء الرئيسة في منطقتي عسير ، مثل: أهما شعار النماص ، وأهما شعار محائل ، وأهما جبال السوداء ، وأهما خميس مشيط بيشة ، وطريب وتثليث ، وأحد رفيدة وسراة عبيدة ، وظهران الجنوب ، وأهما القرعاء (الفرعاء حالياً) ، والجرة ، والوادين وما جاورها^(٣). وجميع هذه النواحي كانت تربطها طرق معبدة مسفلتة وذات مسار واحد مع مدينة أهما ، ولا تخلو جوانبها من الخدمات الضرورية مثل: المحطات البترولية ، والبناشر ، وأحياناً الدكاكين

(١) تاريخ التجارة في أهما أو عسير أو أي حاضرة من حواضر منطقة عسير، أو في جازان ، أو نجران، أو الباحة ، أو القنفذة موضوعات هامة جداً ويجب أن تدرس تاريخياً منذ بداية القرن الهجري الماضي إلى يومنا الحاضر. وإذا عولجت هذه الموضوعات معالجات علمية أكاديمية فإننا سوف نطلع على تاريخ التطور التجاري في هذه البلاد خلال هذه الحقبة التاريخية الحديثة والمعاصرة الهامة .

(٢) يقصد بالحاضرة هنا أي البلاد الممتدة من وسط مدينة أهما إلى جبال السوداء وشعار شمالاً وغرباً، إلى خميس مشيط وأحد رفيدة والشعف ، الفرعاء (القرعاء سابقاً) والجرة ، وطور آل يزيد وغيرها . مشاهدات الباحث وتنقله في أرجاء هذه النواحي منذ ثلاثة عقود .

(٣) هذه النواحي بحاجة إلى دراسات تاريخية حضارية وبخاصة في ميدان التنمية منذ تسعينيات القرن (١٤٥٠هـ/٢٠٠٠م) إلى ثلاثينيات القرن (١٤٥٠هـ/٢٠٠٠م) . وهذا الموضوع جدير بالدراسة ومادته العلمية موجودة وميسرة في أراشيف المؤسسات الإدارية في أهما ، ولازال هناك معاصرين حاذقين مشاركون في هذه التنمية الحضارية.

المحدودة في معروضاتها التجارية^(١). ومنذ بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) نجد عجلة التنمية تسير بخطوات سريعة فشقت طرق واسعة ومعبدة في كل ناحية ، وأصبحت الطرق ذات المسار الواحد متعددة المسارات ، وبذلت إدارة المواصلات في أهما ، والبلديات في مدن أهما وخميس مشيط وأحد ريفية جهوداً مباركة حتى وصلت الطرق إلى كل القرى والأرياف والنواحي في جميع أجزاء هذه الحواضر العسيرية^(٢).

وحين يتأمل المتجول اليوم في حاضرة أهما في شبكة الطرق الحالية وما كانت عليه في العقود الأخيرة من القرن الهجري الماضي ، وذلك بما تنعم به هذه الحاضرة في وقتنا الحاضر من خدمات جيدة في مجال الطرق وخدماتها ، ولازال أهالي حاضرة أهما يتطلعون إلى المزيد من فتح طرق أوسع وأفضل وبخاصة داخل مدن أهما وخميس مشيط وأحد ريفية ، وذلك لتزايد النمو السكاني الذي تعيشه منطقة أهما خلال العشر سنوات الأخيرة^(٣).

أما الأسواق في حاضرة أهما، فكانت هي الأخرى محدودة في ثمانينيات وتسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وأسواق أهما ، وخميس مشيط ، وأحد ريفية ، وتندحة ، وشعف شهران الأسبوعية هي الأماكن الرئيسة للممارسة للتجارات المختلفة^(٤) . وكان داخل هذه

(١) مشاهدات الباحث منذ تسعينيات القرن الهجري الماضي إلى نهاية العقد الأول من القرن (١٥هـ/٢٠م) .

(٢) تاريخ المواصلات في منطقة عسير منذ عام (١٣٥٠هـ/ ١٤٣٠م — ١٩٣٠ — ٢٠١٠م) يستحق أن يفرد له كتاب أو دراسة علمية أكاديمية . وهذه مسؤوليات جامعة الملك خالد والأكاديميين المؤرخين الجغرافيين في كلية العلوم الإنسانية بهذه الجامعة .

(٣) حاضرة أهما دخلت منذ بداية عشرينيات القرن (١٥هـ/٢٠م) مرحلة كبيرة من النمو السكاني ، ويجب على إدارات التخطيط وعلى مراكز البحوث في جامعة الملك خالد أن تدرس هذه الظاهرة وتوجد لها حلولاً جيدة تضمن سلامة التطور الحضاري الذي تمر به منطقة أهما بشكل خاص ومنطقة عسير بشكل عام.

(٤) سوق الثلاثاء الأسبوعي في أهما ، وسوق الخميس شهران في خميس مشيط ، وسوق آل يزيد في طور آل يزيد ، وسوق إثنين ابن حموض في المسقي وغيرها من الأسواق الأسبوعية في حاضرة أهما لها عمق تاريخي يعود عشرات السنين إلى الوراء . ومثل هذه الأسواق جديرة بالبحث والدراسة ، مع أنها تراجع حالياً تجارياً وتاريخياً . وجميع هذه الأسواق يجب أن تدرس دراسات علمية أكاديمية . بل يجب على الهيئة العامة للسياحة أن تسعى إلى ترميم أماكنها وتحويلها إلى معالم سياحية تاريخية .

المدن محلات تجارية ، إلا أنها محدودة وبسيطة^(١). وفي أوائل هذا القرن (١٥٠هـ/٢٠م) بدأت التجارة في خميس مشيط ومدينة أهما تتوسع أفقياً ورأسياً ، فتعددت الأسواق والمعارض التجارية ، وتزايدت السلع في الكيف والكم ، وصارت الأسواق العالمية تسعى إلى أن تؤسس لها فروعاً تجارية في هذه الحاضرة العسيرية^(٢). وإذا حاولنا إيجاد دراسة مقارنة للأسواق الأهموية في نهاية القرن الماضي وبداية هذا القرن الهجري ، وما تعيشه منطقة أهما منذ أوائل عشرينيات القرن (١٥٠هـ/٢١م) ، فالمقارنة سوف تكون متباينة جداً وسنرى كيف كانت وكيف أصبحت هذه الحاضرة الجنوبية تجارياً واقتصادياً^(٣).

ب - الصادرات والواردات :

أما صادرات وواردات حاضرة أهما فلم تكن في الماضي كثيرة ولا متنوعة كما نشاهدها اليوم. والناظر في وثائق التاريخ الاقتصادي منذ بداية القرن (١٤٠هـ/٢٠م) إلى نهايته ، يلحظ أن موانئ جدة ، والقنفذة ، وجازان ، وعدن كانت ترسل بعض سلعتها التجارية إلى كل من رجال ألمع ، وأهما ، وخميس مشيط ، وظهران الجنوب ، ونجران ، وبيشة ، وكان تجار ذلك الزمان يحصلون على حبوب ومواشي هذه النواحي العسيرية الجبلية وتصدر إلى اليمن ، وموانئ البحر الأحمر ، والحجاز^(٤).

(١) مشاهدات الباحث منذ تسعينيات القرن الهجري الماضي إلى نهاية العقد الأول من القرن (١٥٠هـ/٢٠م) .

(٢) نشاهد اليوم في حاضرة أهما عشرات بل مئات الأسواق الراقية في معروضاتها وعماراتها ، وخدماتها ، ونوعياتها ، وجودها. وتاريخ التجارة في منطقة عسير (الأسواق نموذجاً) موضوع هام ويستحق البحث والدراسة الأكاديمية الموثقة .

(٣) هذا أن نرى باحثاً جاداً يقوم بهذه الدراسة المقارنة التي أعتقد أنها سوف تضيف للمكتبة العربية معارف قيمة وجديدة .

(٤) هذا ما وجده الباحث في مئات بل آلاف الوثائق التي توجد في مكتبته الخاصة ، وقد نشر العديد من الوثائق الحضارية الاقتصادية التي تؤكد هذا القول . لكن دراسة التاريخ الاقتصادي في مناطق عسير ، وجازان ونجران ، والباحة ، والقنفذة خلال القرنين الهجريين الماضيين جديرة بالاهتمام ويستحق إلى أن يصدر عنه عشرات الكتب والرسائل ، والأمل معقود في الله عز وجل ثم في الباحثين والمؤرخين والأكاديميين الذين ينتسبون إلى هذه الأوطان السعودية الجنوبية.

ومنذ بداية القرن (١٥هـ/٢٠م) أصبحت المعروضات التجارية المحلية ، والإقليمية ، والعالمية ^(١) تصل إلى أسواق حاضرة أبها بكميات كبيرة ، وترافقها متنوعة في مصادر صنعها ، وفي أنواعها ، وميادين استخدامها، بل إن العاملين في التسويق لم يصبحوا محصورين في جنس دون آخر فنجد أهل البلاد ومعهم عشرات الآلاف من جنسيات مختلفة يعملون في البيع والشراء والمضاربات التجارية المتعددة الأغراض . وفي السنوات العشر الأخيرة تزايد التعامل مع التقنيات الحديثة ، وانفتح العالم بعضه على بعض فصارت حاضرة أبها تعيش في مجال التجارة العالمية ، وتيسرت الإجراءات الرسمية ، ووسائل النقل ، وطرق التعامل التجاري بين العاملين في صنوف التجارة في أبها أو في أي مكان أو صقع من أصقاع العالم العربي أو الإسلامي أو العالمي ^(٢).

ج - الأسعار :

وإذا توقفنا مع الأسعار في حاضرة أبها خلال الأربعين عاماً الماضية ، وجدناها كانت قليلة ومحدودة حتى أواخر الثمانينيات ، فالملابس ، والأراضي ، وأسعار المواشي والمواد الغذائية كانت جميعها قروشا أو ريالاً معدودة للسلعة الواحدة ^(٣). ومنذ أواخر التسعينيات بدأت ترتفع الأسعار تدريجياً ، ومع دخول هذا القرن الهجري سارت في صعود مضطرد ،

^(١) في القرن (١٤هـ/٢٠م) كانت المعروضات المحلية ، وأسواق الجزيرة العربية من بلاد الخليج ، والحجاز ، ونجد واليمن هي المتوفرة والسائدة في أسواق حاضرة أبها. هذا ما وجدته الباحث في كثير من الوثائق ، وشاهده منذ تسعينيات القرن الهجري الماضي ، وذكره أيضاً بعض الرواة الذين عاشوا في أبها منذ خمسينيات القرن نفسه .

^(٢) ما تعيشه حاضرة أبها اليوم تجارياً ، أو أي ناحية من نواحي جنوب المملكة العربية السعودية يستحق بذل الجهود في ميدان الدراسات العلمية وبخاصة في المراكز البحثية في جامعات الجنوب المحلية ، وأيضاً من الغرف التجارية ، والإمارات ، والمحافظات في هذه الأجزاء السعودية الجنوبية .

^(٣) اطلعنا على وثائق الخمسينيات إلى ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) فوجدنا أسعار ذلك الزمن تدرجت من القروش والهلال البسيطة جداً إلى ريالاً وأحياناً عشرات الريالات المحدودة . وتاريخ الأسعار في حاضرة أبها أو في أي ناحية من نواحي الجنوب منذ بداية القرن (١٤هـ/٢٠م). إلى نهايته يستحق البحث والدراسة، وهو موضوع هام وجيد، حينذا أن نرى إحدى طالباتنا أو طلابنا في برامج الدراسات العليا فيكون موضوعاً لرسالته في الماجستير أو الدكتوراه .

حتى أصبحنا نشاهد اللباس ، أو الطعام ، أو الأرض ، أو الأداة الصغيرة ، أو الكبيرة التي كانت تشتري في نهاية القرن الماضي بريالات معدودة، أصبحت اليوم تُشتري بأسعار باهظة ، ونجد الزيادة أحياناً ارتفعت مئات وأحياناً آلاف المرات عما كانت عليه قبل أربعة عقود^(١).

د . تعاملات تجارية أخرى :

هناك تعاملات تجارية أخرى مثل: العملات ، والأوزان ، والمكاييل ، والمقاييس، والمضاربات التجارية المختلفة فقد جرى عليها بعض التبدلات من حيث النوع ، والكم ، والتطور^(٢). فالعملات السعودية ، وتدرج من القروش المعدنية. فئة القرش ، والقرشين ، والعشرة ، والنصف ريال ، والريال الواحد. أما العملات الورقية فهي الأخرى من فئات الريال ، والخمسة والعشرة ريالات ، والخمسين ، والمئة ، والخمسمائة ريال . وفي الأربعة العقود الماضية تولى حكم البلاد ثلاثة ملوك هم : (خالد، وفهد، وعبد الله) أبناء الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود (يرحمه الله)، ومن ثم كانت صورة واسم كل ملك من هؤلاء الحكام السعوديين على العملات التي صدرت في عصره ، وكانت تلك العملات هي النقود السائدة في جميع أرجاء البلاد السعودية^(٣).

هـ صور من الحياة الثقافية والعلمية والفكرية:

في تسعينيات القرن (١٤٠٤هـ/٢٠٠٣م) شاهدنا التعليم منتشراً في جميع أنحاء حاضرة أبها ، فمراحل التعليم العام (الروضة ، والابتدائي، والمتوسط ، والثانوية، وبعض المعاهد التعليمية

^(١) منذ عام (١٣٩٥-١٤٠٢هـ/١٩٧٥-١٩٨٢م) ، وهو عهد الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود ارتفعت رواتب وأجور الموظفين ، وبدأت أحوال الناس الاقتصادية تتحسن في جوانب عديدة ، ومن ثم بدأت الأسعار ترتفع حتى أصبحنا اليوم نعيش غلاءً فاحشاً في جميع المبيعات والسلع التجارية . تاريخ الأسعار في منطقة عسير خلال الأربعة العقود الماضية جدير بالدراسة . حذا أن تقوم بعض المراكز البحثية بجامعة الملك خالد بدراسة هذا الموضوع دراسة علمية أكاديمية.

^(٢) دراسة التعاملات التجارية المذكورة أعلاه في منطقة عسير تستحق البحث منذ بداية العهد السعودي الحالي حتى وقتنا الحاضر. ومن يتخذ هذا العنوان موضوعاً لدراسته فسوف يضيف إلى المكتبة العربية دراسة أكاديمية قيمة .

^(٣) تاريخ العملات في المملكة العربية السعودية منذ منتصف القرن (١٤٠٤هـ/٢٠٠٣م) إلى وقتنا الحاضر. يستحق العديد من الدراسات الأكاديمية . وهذه مسؤوليات الجامعات ووزارة المالية ومؤسسات النقد السعودية .

والفنية) متواجدة في مدينة أبها وخميس مشيط وأحد ريفية وأريافها ، بالإضافة إلى إدارتي تعليم البنين والبنات في أبها ، وكانت مسؤوليات هاتين الإدارتين التعليمية والإدارية تغطي جميع أنحاء منطقة عسير^(١).

وفي عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) تم إنشاء فرعي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية والمملك سعود في أبها ، وافتتح بها ثلاث كليات : التربية للملك سعود ، والشريعة واللغة العربية لجامعة الإمام ، وبدأت هذه الكليات تستقطب طلاب المنطقة الجنوبية من جازان ونجران جنوباً إلى الباحة والقنفذة شمالاً^(٢)، وفي الثلاث والعشرين سنة التالية لعام التأسيس (١٣٩٦-١٤١٩هـ/ ١٩٧٦-١٩٩٩م) نجد الكليات الآتية الذكر بالإضافة إلى كلية الطب فرع جامعة الملك سعود ، وكلية إعداد المعلمين التابعة لوزارة التربية والتعليم^(٣)، بالإضافة إلى إنشاء جامعة الملك خالد عام (١٤١٩هـ/١٩٩٩م) ، واستمرارها في خدمة المجتمعات الجنوبية السعودية ، وانتشار مؤسساتها وكلياتها الأكاديمية في جميع أنحاء منطقة عسير حتى أصبح عددها اليوم (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) حوالي (٥٨) كلية علمية ونظرية غير العديد من المراكز والبرامج والعمادات والإدارات المساندة^(٤).

(١) للمزيد عن تاريخ التعليم في حاضرة أبها بشكل خاص وفي منطقة عسير بشكل عام ، انظر: ابن جريس . تاريخ التعليم في منطقة عسير (١٣٥٤-١٣٨٦هـ) ، الجزء الأول ، ص ١٨ وما بعدها. وللمؤلف نفسه ، تاريخ التعليم العام والعالي في منطقة عسير في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز (١٤٠٤-١٤٢٣هـ) ، ص ٢٣ وما بعدها .

(٢) الباحث بدأ تعليمه الجامعي في أبها عام(١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) ، وقد شاهد طلاب فروع الجامعات آنذاك وكانوا من جميع أجزاء المناطق الجنوبية الممتدة من الطائف ومكة المكرمة إلى جازان ونجران.

(٣) تاريخ العشرين عاماً الأولى من التعليم العالي في عسير يستحق إلى أن يفرد له كتاب أو رسالة علمية لدرجة الماجستير أو الدكتوراه . ونأمل أن يقوم أحد طلابنا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد بإنجاز دراسة هذا الموضوع الجيد والجدير بالبحث والدراسة .

(٤) تاريخ جامعة الملك خالد (١٤١٩-١٤٣٣هـ/١٩٩٩-٢٠١٢م) يستحق العديد من الدراسات ونأمل أن تقوم الجامعة نفسها بتوثيق ورصد هذه السنوات الأولى من تأسيس هذه الجامعة ، ومثل هذا الموضوع جدير بالاهتمام .

ومن خلال معاصرنا للتعليم العام والعالي في حاضرة أبها خلال الأربعة عقود الماضية ،

خرجنا بالعديد من النتائج والخلاصات التي نذكرها في النقاط التالية:

أ — مؤسسات التعليم العام والعالي في أبها ساهمت في نشر الوعي ، ومحاربة الأمية ، ودفع عجلة التنمية الحضارية في منطقة أبها وفي عموم أجزاء المنطقة الجنوبية . فالناظر اليوم يجد معظم المسؤولين والعلمين والتربويين والإداريين والمخططين في عسير وجازان ونجران والقنفذة وربما الباحة تخرجوا من مؤسسات التعليم العالي بأبها منذ عام (١٣٩٦-١٤٢٠هـ / ١٩٧٦-٢٠٠٠م)^(١).

ب — كان لكلية الشريعة وأصول الدين في أبها دور ريادي في نشر الوعي الديني والثقافي والدعوي بين سكان حاضرة أبها وغيرهم من سكان المناطق الجنوبية ، ولو رجعنا إلى وثائق وسجلات هذه الكلية منذ عام (١٣٩٦-١٤١٩هـ / ١٩٧٦-١٩٩٩م) لوجدنا آلاف المناشط والبرامج التي قدمتها هذه الكلية للناس^(٢)، بل كان يعمل بها الكثير من الأساتذة والأكاديميين البارعين في علومهم ومجالات تخصصاتهم^(٣).

ج — أما الكليات التعليمية الأخرى (الطب ، والتربية ، واللغة العربية ، وإعداد المعلمين) فهي الأخرى قدمت جهوداً رائعة وجبارة في تنمية المجتمع الأهواي أو الجنوبي بشكل عام . وهذه الكليات تستحق أن يجري عنها عشرات الدراسات . ونأمل أن نرى من أساتذة جامعات الجنوب (خالد ، وجازان ، ونجران ، والباحة) من يتولاها بالبحث والدراسات العلمية الأكاديمية^(٤).

د — وإذا نظرنا إلى الأدوار التي قامت بها مؤسسات ومدارس ومعاهد التعليم العام، وجدناها

(١) معاصرة الباحث ومشاهداته لهذا التطور الحضاري الإداري التعليمي التنموي .

(٢) يوجد في جميع أجزاء المناطق الجنوبية آلاف الخريجين من هذه الكليات ، بل لازال على قيد الحياة بعض الأكاديميين الذين عملوا في هذه المؤسسة ونأمل أن نرى باحثاً جاداً فيدرس تاريخ هذه الكلية وما قدمت من جوانب إيجابية كثيرة في خدمة المجتمعات السعودية الجنوبية.

(٣) حبذا أن تجمع وتدرس تراجم الرعيل الأول من الأكاديميين الذين عملوا في هذه الكلية ، بل في جميع الكليات الموجودة في أبها منذ عام (١٣٩٦-١٤١٠هـ / ١٩٧٦-١٩٩٠م) .

(٤) عاصر الباحث النمو والتطور الذي مرت به هذه الكليات وهي فعلاً تستحق البحث والدراسة العلمية الجادة .

هـ — ساعد التعليم العام والعالي في حاضرة أبها وفي منطقة عسير في توسيع مدارك الناس، وانتشر الوعي بين الأفراد والأسر والمجتمع ، وتطور مستوى أداء الإدارات وموظفيها في المنطقة ، وتدرج أبناء المناطق الجنوبية في سلم التعليم حتى نال الكثير منهم (رجالاً ونساءً) أرقى الدرجات العلمية ، وظهر منهم مفكرون ومتخصصون مبدعون في علوم وتخصصات عديدة^(١).

و — تزايد مؤسسات التعلم العام والعالي في حاضرة أبها ، وتزايد أعداد الطلاب والعاملين في هذا القطاع التنموي أثر في ازدهام المنطقة ، ومن ثم توسعت الأحياء عمرانياً ، وازدهمت المجتمعات السكانية ، وتكاثرت الأسواق ، ونشطت التجارات في شتى السلع والمعروضات^(٢).

كما أن مراكز الدعوة والإرشاد ، والندوات والمحاضرات في المساجد والمهرجانات ، وحلق القرآن ، وإقامة الجمع والجماعات كل هذه المناشط كان لها دور جيد في توعية وتنقيف المجتمع الأبهوي أو العسيري والجنوبي بشكل عام . وقد عاصر الباحث مئات بل آلاف البرامج خلال الأربعة عقود الماضية ، وشاهد العديد من الإيجابيات وبعض السلبيات

(١) إدارة التربية والتعليم في حاضرة أبها عليها مسؤوليات كبيرة في رصد وتوثيق التطور التاريخي الذي مر به التعليم في مدينة أبها بشكل خاص وفي منطقة عسير بشكل عام .

(٢) من يتجول اليوم في جامعات الجنوب (خالد ، والباحة ، وجازان ، ونجران) وفي بعض الجامعات السعودية الأخرى فإنه سوف يجد مئات الأساتذة المميزين المبدعين في علومهم وتخصصاتهم ، وهم في الأساس من خريجي مدارس حاضرة أبها أو منطقة عسير ، بل إن تعليمهم الجامعي كان في أحد أقسام أو كليات التعليم العالي الأبهوي (١٣٩٦ - ١٤٢٠هـ / ١٩٧٦ - ٢٠٠٠م) . مشاهدات الباحث ومعاصرتة لتطور التعليم في مناطق الجنوب السعودية (١٣٩٦ - ١٤٣٣هـ / ١٩٧٦ - ٢٠١٢م).

(٣) الناظر في مجتمع حاضرة أبها في أواخر تسعينيات القرن الهجري الماضي يجده محدوداً في تركيبته السكانية والاجتماعية والاقتصادية . وهذا الأمر يختلف تماماً على ما نشاهده من نمو حضاري هائل في منطقة أبها اليوم . وإخراج بحث في هيئة مقارنة عن التنمية في أواخر القرن (١٤هـ / ٢٠م) ، وما جرى على المنطقة من تغيرات خلال العشر سنوات الأخيرة جدير بالدراسة والاهتمام .

التي كانت تتخلل هذه النشاطات الثقافية والتعليمية والفكرية . ونأمل أن يظهر بعض الباحثين الأكاديميين الجادين الذين يدرسون تاريخ هذه الجهود والأنشطة خلال العقود الأربعة الماضية المتأخرة . ومن يقم بهذا العمل فإنه سوف يطلع أجيال الحاضر والمستقبل على ما ساد حاضرة أهما أو منطقة عسير ، وما أثرت أو تأثرت به نتيجة لتلك الجهود والنشاطات العلمية والثقافية والفكرية^(١).

أما نادي أهما الثقافي، وجمعية الثقافة والفنون فكان لهما أيضاً دور ريادي وتوعوي وتنقيفي في حاضرة أهما ، بل في عموم منطقة عسير . وكان لصاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل ، أمير منطقة عسير سابقاً ، دور كبير في تألق هاتين المؤسستين . وإذا توقفنا مع نادي أهما الأدبي ، فقد كان شعلة مضيئة في سماء المملكة العربية السعودية ، بل كان ريادياً فيما يقدم من ندوات ومحاضرات وملتقيات ، وفيما يصدر من مطبوعات ومنشورات^(٢) . وإذا كان الأمير خالد الفيصل الراعي الأول لهذه النجاحات والإنجازات ، إلا أن رئيس النادي الأدبي الأستاذ القدير محمد بن عبد الله الحميد كان هو القائد والرئيس والربان الماهر الحاذق الذي استطاع أن يرتقي بهذه المؤسسة الثقافية إلى أعلى المستويات على نطاق البلاد السعودية ، بل كان لا يكل ولا يمل في خدمة هذا النادي وما يعود على المجتمع الأبهوي والعسيري والسعودي بكل خير وفائدة وصالح عام^(٣).

(١) يوجد لدى الباحث عشرات بل مئات الوثائق التي تصور بعض النشاطات الثقافية والفكرية التي عرفتها أهما خلال العقدين الأولين من القرن (١٩٥٠م/٢٠٠٠م) .

(٢) عاصر الباحث تاريخ هذا النادي من عام (١٣٩٨-١٤٢٠هـ/١٩٧٨-٢٠٠٠م) ، فكان للأمانة جامعة ثقافية وعلمية أنارت سماء منطقة عسير بكل ما هو نافع ومفيد للفرد والمجتمع .

(٣) إن دراسة تاريخ النادي الأدبي منذ تأسيسه إلى أن ترجل الأستاذ ابن حميد عن رئاسته يستحق إلى أن يفرد له كتب وبحوث ودراسات أكاديمية . ومن يتول هذا الموضوع بالبحث والدراسة العلمية الموثقة ، فإنه سوف يطلع على قامات علمية محلية وإقليمية وعالمية شاركت في مناشط هذا النادي . بل يجد مطبوعات وإصدارات قيمة نشرت من خلاله ، بل يجد أعضاء عديدين قديرين أسهموا في مجلس إدارة النادي . ولو قارنا وضع النادي بعد رئاسة الأستاذ محمد بن حميد فإننا سنجدته تقهقر إلى الوراء في سمعته ، ومناشطه ، وإنجازاته ، وخدماته للمجتمع العسيري . ونأمل من أعضاء إدارة النادي الحاليين أو من سيتولاه في المستقبل أن يرفع من شأن هذه المؤسسة ويعود بها إلى إبداعها وبريقها الذي عاشته في العقدين الماضيين من

٦. خلاصات وتعليقات :

أ — حاضرة أهما هي العاصمة الرئيس لمنطقة عسير، بل كانت الحاضرة الرئيس إدارياً وعسكرياً ومالياً لعموم مناطق الجنوب . ومن ثم فهي ذات تاريخ حضاري يعود إلى الوراثة مئات السنين^(١). وما عاشته وتعيشه هذه الناحية خلال الأربعة عقود الماضية ليس إلا من فضائل الله عز وجل ثم حكومة المملكة العربية السعودية الحديثة التي لا تألو جهداً في تطوير وتنمية كل صقع من أصقاع البلاد السعودية.

ب — ما أوردناه في الصفحات السابقة ، عبارة عن لمحات أو صور حضارية عاشتها منطقة أهما خلال الأربعين سنة الماضية ، لكنها لازالت تحتاج إلى عشرات الدراسات العلمية التاريخية الحضارية التنموية . ونأمل أن تقوم جامعة الملك خالد بهذه الجهود البحثية حتى توضح لأبناء هذه المنطقة أهمية هذه الحاضرة السعودية الجنوبية .

ج — ماتم ذكره قد يساعد أي باحث لإنجاز دراسة علمية موثقة عن أي ناحية من تاريخ وحضارة هذه الحاضرة . وهناك آلاف السجلات والوثائق الحكومية والأهلية والفردية التي تخدم من يقوم بدراسة هذه الحاضرة.

د — حاضرة أهما لها صلات تاريخية قديمة مع منطقة عسير ومناطق الجنوب (الباحة، القنفذة ، جازان ، نجران) أو مع بلاد اليمن ، أو أجزاء أخرى في البلاد السعودية، ونأمل أن نرى من طلاب الدراسات العليا في جامعاتنا السعودية من يتول مثل هذه الجوانب بالبحث والدراسة والتحليل.

هـ — التركيبة السكانية في حاضرة أهما خلال العقود الثلاثة الأولى من هذا القرن (١٥هـ/٢٠-٢١م) تستحق الدراسة والتوقف مع الخليط والانصهار السكاني الذي تعيشه المنطقة، مع الحرص على دراسة الجذور التاريخية لسكان هذه الناحية ، وما

هذا القرن (١٥هـ/٢٠-٢١م). للمزيد انظر: ابن جريس ، أهما حاضرة عسير (دراسة وثائقية) ، ص١٣٦ وما بعدها .

(١) للمزيد انظر: ابن جريس ، أهما حاضرة عسير (دراسة وثائقية) ، ص ١٦ وما بعدها .